JABATAN KEMAJUAN ISLAM MALAYSIA
DEPARTMENT OF ISLAMIC DEVELOPMENT MALAYSIA

Jurnal Hadhari Bil. 1 (2009) 117-132

UNIVERSITI KEBANGSAAN MALAYSIA
National University of Malaysia
INSTITUTE OF ISLAM HADHARI

الحضارة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة
التواصل المعرفي بين التراث والمعاصرة

(A Cognitive Communication Between Heritage and Modernity)

MAHMOUD HAMDI ZAQZOUQ*

Minister of Endowments in the Arab Republic of Egypt, 3 Al Estad Al Bahary St. - Nasr City, Cairo

الملخص

إن الحضارة في التصور الإسلامي تعني تحقيق المشيئة الالهية في عمارة الأرض ماديا ومعنويا وبذلك يحقق الإنسان ذاته بوصفه خليفة لله في الأرض وبالتالي يكون في صلة مستمرة بالله خالق الكون ، وهذه الصلة كفيلة بأن تصحح له دائما مساره على الأرض حتى لايضل الطريق. فهذه الورقة هي محاولة لكشف التحديات التي تواجهها الأمة الاسلامية في طريقهم لإعادة الصرخ الحضاري في الوقت الحاضر. وتبرز هذه الورقة أن قوة المسلمين الحضارية ستجعلهم قادرين على مواجهة كل التحديات الخارجية خاصة التحديات التي اتت بها العولمة المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: النموذج الإسلامي الحضاري، وواقع التخلف المشار إليه ، التخلف الحضاري الراهن، التضامن الإسلامي ، العالم الإسلامي

*Corresponding Author:Mahmoud Hamdi Zaqzouq, Minister of Endowments in the Arab Republic of Egypt, 3 Al Estad Al Bahary St. - Nasr City, Cairo. E-mail: cairo.mission@mofa.gov.bh
Received: 1 February 2009
Accepted: 19 April 2009
DOI: http://dx.doi.org/10.17576/JH-2009-0101-06

ED2 jurnal hadhari06.indd 132

ABSTRACT

Civilisation from Islamic perspective is the implementtations of God's will in developing physical and spiritual worlds. The action is considered as a human success to justify himself as vicegerent of God. By this main, a man can have con-tinuous relation with his Creator. This relation will put man in a right tract in his lliving part, and will not make him astray. This paper explores challenes facing Muslim society in order to re-establish the glory of Islamic civilisation in future. The paper also emphasises that by havingstrong Islamic civilisation, the ummah can face the challenge including the current challenge of globalisation.

Keywords*: The Islamic Civilizational Model, the referred backwardness reality, the current civilizational backwardness, Islamic solidarity, the Islamic world.*

تمهيد

إن التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية فى العصر الحاضر تحديات كثيرة ومتنوعة وغير مسبوقة، وذلك بالنظر إلى ما طرأ على عالمنا المعاصر من تطورات متلاحقة وتغيرات فى شتى مناحى الحياة، وعلى كل المستويات السياسة والإقتصادية والثقافية والخلاقية والإجتماعية وغيرها . وذلك فضلا عن الثورة العلمية والتكنولوجية وثورة المعلومات والإتصاليات وتيار العولمة الجارف الذي يجتاح العالم المعاصر.

ومما يزيد الأمور تعقيداً أمام عالمنا الإسلامي فى ظل هذه الظروف والمتغيرات ما يعانيه من أزمات طاحنة ومشكلات خانقة متعددة الجوانب. ففى الوقت الذي تتلاحق فيه التطورات على جميع المستويات فى مناطق العالم المتقدم إذا بنا نرى التخلف بكل أبعاده يخيم على العالم الإسلامي. وهذا التخلف واقع لا يجوز إنكاره على الرغم من القشرة الحضارية الظاهرية المستوردة التى يراها المرء فى أنحاء شتى من العالم الإسلامى.

ولكننا فى الوقت نفسه لا نستطيع أن ننكر أن هذا التخلف الواضح، وهذا الواقع المحزن، منفصل عن النموذج الإسلامي الحضاري بمائة وثمانين درجة.

ED2 jurnal hadhari06.indd 131

ولم تستطع الصحوة الإسلامية المعاصرة أن تقترب حتى اليوم بطريقة جدية من هذه القضية المصيرية الأولى. بل ظلت حتى يومنا هذا منشغلة بمحيط الدائرة، وببعض المظاهر الشكلية والأمور الهامشية، ومهتمة بالجزئيات دون الكليات, واختلط لديها سلم الأولويات. فانقلبت الضروريات هامشيات والهامشيات ضروريات، وغابت معالم الرؤية الواضحة المتعقلة المستنيرة، وضاعت أصوات العقلاء من رواد هذه الملة وسط ضجيج الإنفعالات العاطفية التى تتصف فى كثير من الأحيان بشدة حدتها وانفلات وعيها بما يدور حولها فى عالم اليوم.

وواقع التخلف المشار إليه يمثل بالنسبة لعالمنا الإسلامي مشكلة حضارية بالدرجة الأولى. ويمكن القول بأن هذه المشكلة قد بدأت فى الظهور عندما بدأ التراجع الحضاري فى الأمة الإسلامية فى أعقاب زوال الوجود الإسلامي فى الأندلس أوائل العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي. ولم تتعاف الأمة من هذا التراجع حتى الآن.

مظاهر التخلف

وهذا التخلف الحضاري الراهن والذي لا تخطئه العين فى عالمنا الإسلامي، يتجلى فى العديد من المظاهر التى تشمل جميع المستويات الدينية والعلمية والسياسة والإقتصادية والإجتماعية والأخلاقية وغيرها. وفى مقدمة هذه المظاهر – فى رأينا – إهمال العلم والحضارة، حيث لم يعد العلم ولا التقدم الحضاري يشكل أولوية فى قاموس الأمة الإسلامية.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة، ولكن يكفينا أن نشير فى هذا الصدد إلى أن نسبة الأمية فى العالم الإسلامي تزيد على 47% طبقاً للبيانات الصادرة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

ومن الطبيعي أن تجر الأمية وراءها انتشار الخرافات والأوهام وتغييب العقل واختزال الإسلام فى مجرد أداء الشعائر المعروفة، والإهتمام المفرط

ED2 jurnal hadhari06.indd 130

بالشكليات بعيداً عن جوهر الدين ومقاصده. وقد كانت نتيجة ذلك كله انتشار ظواهر التشدد والتطرف والغلو فى الدين. وترتب على هذا التشدد فى أمور الدين تحول سلبي فى السلوك حيث حلت الفظاظة والغلظة والعنف فى التعامل محل الرحمة التى هى السمة الأساسية للإسلام، وانتشرت تهم الكفر والتحلل من الدين ضد كل من يعتقد – صواباً أو خطأً – أنهم متساهلون فى أمور الدين، أو من لهم وجهة نظر مخالفة لهؤلاء المتشددين. وغني عن البيان أن نشير إلى أن هذا التيار المتشدد كان وراء ظهور موجات الغلو والتطرف والتعصب والإرهاب التى جلبت على الأمة الإسلامية عواقب وخيمة لا تزال تعانى منها حتى اليوم.

وقد كان لذلك كله أثر سلبي على العلاقات بين شعوب الأمة الإسلامية على جميع المستويات وبصفة خاصة على المستوى السياسي والإقتصادي. فقد أصبح التشرذم هو السمة الغالبة على علاقات شعوب الأمة الإسلامية فيما بينها، وأصبح التضامن الإسلامي مجرد شعار نردده فى المناسبات، ولكنه شعار يخلو من أي مضمون. ويكفى أن نشير إلى أن حجم التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي لا يتجاوز نسبة 8% من حجم تجارة هذه الدول مع بقية دول العالم. والتعاون فى بقية المجالات الأخرى ليس أسعد حظاً من ذلك.

ومن هنا فإنه ليس بالأمر المستغرب أن نرى العالم الإسلامي - الذي يشكل سكانه خمس سكان العالم - قد أصبح مسرحاً مباحً للصراعات المحلية والعالمية ومطمعاً للقوى الكبرى، وأصبح المسلمون فى عالم اليوم أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام. فمعظم مشكلات العالم اليوم تجد لها مرتعاً خصباً فى قلب العالم الإسلامي، ومن أهمها قضايا فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال والسودان وتشاد ولبنان وباكستان وغيرها. وذلك بالإضافة إلى مشكلات أخرى بين بعض البلاد الإسلامية ذاتها فى مناطق

ED2 jurnal hadhari06.indd 129

مختلفة من العالم، ناهيك عن العديد من المشكلات الأقليات الإسلامية فى مختلف القارات. وأصبح الآخرون يتحكمون فى مصائر الأمة الإسلامية، ويقررون وحدهم فى غيبة المسلمين أو حتى فى حضورهم ما يشاءون فى أخص خصوصيات هذه الأمة، الأمر الذي ينطبق عليه قول جرير:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرون

وهم شهود وفى خضم هذه الأوضاع التى يعيشها عالمنا الإسلامي نجد هناك اتجاهاً قوياً لتعليق كل أخطائنا وعيوبنا وتخلفنا على شماعة الآخرين دون أن نلتفت لنقد أنفسنا والتعرف بطريقة موضوعية على مواطن الخلل لدينا. وغياب النقد الذاتي من شأنه أن يساعد على تغييب وعينا بسوء أوضاع عالمنا الإسلامي.

العالم الإسلامي والآخر

ولا شك فى أن هذه الأوضاع الداخلية كان لها أثرها السلبي على صورة الإسلام والمسلمين فى الخارج، وبخاصة فى عالمنا المعاصر. فنحن لا نعيش وحدنا فى هذا العالم، ولا نستطيع أن نعزل أنفسنا عما يدور حولنا فى عالم اليوم من متغيرات، وتيار العولمة المعاصر يحمل إلينا الكثير من التحديات التى لا مفر أمامنا من مواجهتها.

فالعولمة السياسة تتحدى أمتنا بما تحمله من شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية السياسة، والعولمة الإقتصادية تتحدى أمتنا بما تحمله من إزالة الحواجز أمام تدفقات التجارة والسلع والخدمات والمال والبرامج، وبما تحمله أيضاً من تكتلات اقتصادية كبرى وشركات عملاقة متعددة الجنسنيات ومؤسسات مالية ودولية. وهذا كله جعل البعض فى الشرق وفى الغرب يصف هذه العولمة الإقتصادية بأنها عولمة متوحشة تجعل الغني يزداد غنيا والفقير يزداد فقراً.

ED2 jurnal hadhari06.indd 128

أما العولمة الثقافية فإنها تتحدى الأمة بفرض ثقافتها وقيمها وعاداتها الإجتماعية، والأمر الذي يهدد ثقافتنا بالذوبان فى ثقافة الأقوى ويطمس بالتالي هويتنا الإسلامية وشخصيتنا الحضارية.

وهذا كله يعنى أن أمتنا قد أصبحت محاصرة من كل جانب، وقد تداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها – كما ورد فى الحديث الشريف – لا بسبب قلة أعداد المسلمين، بل بسبب كثرتهم العددية الضعيفة التى وصفها النبي عليه الصلاة والسلام فى الحديث المشار إليه بغثاء السيل. وقد شجعت هذه الأوضاع الآخرين للترويج لما يسمى بالفوضى الخلاقة فى عالمنا الإسلامي، وهذه الفوضى الخلاقة المزعومة ليست إلا دعوة لإثارة الفتن والعصبيات والإنقسامات فى أوساط المسلمين.

سبيل الخلاص

وإذا كنا قد حاولنا أن نشخص على سبيل الإجمال – من وجهة نظرنا – أهم أدواء الأمة الإسلامية فى عالمنا المعاصر والتحديات الداخلية والخارجية التى تتعرض لها، فإن السؤال الذي يفرض نفسه فى هذا المقام هو: ما السبيل إلى إنقاذ الإمة من هذه الأزمة الخانقة؟

يقول خصوم الإسلام: إن هذا الدين هو سبب تخلف المسلمين. وما دام المسلون متمسكين بهذا الدين فلن تقوم لهم قائمة. ويقدم هؤلاء النصح للمسلمين بأن يفصلوا فصلاً تاماً بين الدين والحياة، ويبعدوا الدين تماماً عن التدخل فى أمور الدين، ويتبعوا فى هذا الصدد النموذج الغربي فى تهميش الدين، هذا النموذج الذي أخذ بيد الغرب إلى الأمام، وجعله اليوم فى مقدمة دول العالم حضارةً ورقياً. وقد يكون الأخذ بالنموذج الغربي حتمياً فى حالة ما إذا لم يكن لدى المسلمين خيارات أخرى تستند إلى ما لديهم من تراث ديني وحضاري عريق.

ED2 jurnal hadhari06.indd 127

وفى هذا المقام نود أن نؤكد أن الموقف الإسلامي من الحضارات الأخرى موقف واضح لا لبس فيه. فالإسلام لا يمنع أتباعه من الإستفادة من تجارب الآخرين وعلومهم وخبراتهم. وإذا كانت الحضارة الحديثة قد قامت على العلم. فإن العلم فى الإسلام – كما هو معروف – يعد فريضة على كل مسلم ومسلمة – كما جاء فى الحيدث النبوي الشريف – كما أن الحضارة فى الإسلام تأخذ أيضاً حكم العلم فتكون هي أيضاً فريضة، لأن الطلب الإلهي بإعمار الأرض فى قوله تعالى : "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها" لا يتحقق إلا بالعلم. ومن هنا وجدنا أن الآيات الأولى من الوحي الإلهي على محمد صلى الله عليه وسلم كانت منصبة على مفاتيح الحضارة.

وقد فتح القرآن الكريم باب البحث العلمي على مصراعيه أمام كل الناس، ولم يضع حدوداً ولا سدوداً فى هذا الصدد. ويؤكد القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : "وسخرلكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون".

وهذا يعنى أن السماوات والأرض وما بينهما مجال للبحث والدراسة. وختام الآية المشار إليها فى غاية الهمية لأنه يشير إلى أن أبواب البحث العلمي لن تفتح إلا "القوم يتفكرون"، أي لهؤلاء الذين يستخدمون عقولهم ويجندون إمكاناتهم الفكرية للبحث والدراسة بصرف النظر عن معتقداتهم وأجناسهم ولغاتهم. ومن المعلوم أن التفكير يعد من القيم الحضارية الإسلامية التى أكد عليها القرآن الكريم فى كثير من آياته لأنه الوظيفة الأساسية للعقل الإنساني الذي يعد أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان. ومن هنا لم يكن من قبيل المبالغة ما ذهب إليه المرحوم الأستاذ عباس العقاد من وصف التفكير بأنه فريضة إسلامية.

ولا شك فى أن مبدأ الإجتهاد فى الإسلام يرتبط أشد الإرتباط بالتفكير لأنه يعنى إعمال العقل فى فهم المسائل والبحث عن حلول ملائمة لها على المستويين الديني والدنيوي. وقد كان الإجتهاد هو الآلية التى أقرها الإسلام

ED2 jurnal hadhari06.indd 126

للتجديد المتواصل فى الحياة الإسلامية على جميع المستويات.

التفاعل الحضاري

وقد كان لهذه المبدئ والتعاليم الإسلامية أثرها العميق فى الإنفتاح الحضاري للمسلمين، كما كانت حافزاً لهم على التواصى مع الحضارات الأخرى. فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها – كما ورد فى الحديث الشريف – . وطلب العلم لا يقتصر على زمان أو مكان محددين. فنحن مأمورون أن نطلب العلم حتى ولو كان فى أقصى مكان فى الدنيا – كما جاء فى الأثر الإسلامي المعروف: (اطلبوا العلم ولو فى الصين) أو حتى لو كان هذا العلم فى يد من لا يدينون بديننا.

وقد جعل الفيلسوف العظيم ابن رشد من الإطلاع على ما لدى الآخرين واجباً شرعياً، ولكنه أوصانا أن تكون لنا فى ذلك نظرة نقدية تميز بين النافع والضار. وفى ذلك يقول: " ننظر فى الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه فى كتبهم. فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم ".

وقد كان ذلك هو النهج الذي سارت عليه الحضارة الإسلامية. فقد تفاعلت مع الحضارات السابقة عليها وأفادت منها دون حرج وذلك من منطلق أن التراث الإنساني – الذي هو ملك للإنسانية كلها – يعتمد على الأخذ والعطاء، وأنه لا توجد أمة عريقة فى التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث.

وإذا كنا قد سبق أن أكدنا أن مشكلة المسلمين الأولى هي مشكلة حضارية فى المقام الأول فإن التغلب عليها يجب أن يكون فى مقدمة أولويات أمتنا الإسلامية، فليس هناك أمامها خيار آخر إلا خيار العلم والبناء الحضاري. ويمكن القول بأن البناء الحضاري الذي يعنى التقدم على

ED2 jurnal hadhari06.indd 125

المستويين المادي والروحي قد أصبح اليوم بالنسبة للمسلمين فرض عين على كل مسلم ومسلمة كما هو الحال بالنسبة للعلم. وهذا أمر لم يعد ترفاً، وإنما هو قضية مصير. وعلى المسلمين أن يدركوا ذلك جيدا وإلا فإن الزمن سيتجاوزهم ويطوى صفحتهم. وهذا أمر لا يرضاه عاقل لأمته.

وحتى نصل حاضر أمتنا بماضيها العريق فإننا فى حاجة إلى العودة إلى التواصل مع أصول ومقومات حضارتنا الإسلامية فإن ذلك من شأنه – إذا أحسن توظيفه – أن يفسح المجال مرة أخرى أمام المسلمين ليستعيدوا دورهم الحضاري المفقود ويحتلوا مكانهم اللائق بهم فى عالم اليوم، وبذلك يتم التمكين لهم فى الأرض، وبالتالى يفرضون احترامهم على الآخرين بل إن الإسلام قد جعل التمكين فى الأرض سبيلاً إلى التمكين للدين وتحقيق فرائضه وذلك فى قوله تعالى: " الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ".

ويمكن القول بناءً على كل ما سبق بأن الحضارة فى التصور الإسلامي تعنى تحقيق المشيئة الإلهية فى عمارة الأرض مادياً ومعنوياً، وبذلك يحقق الإنسان ذاته بوصفه خليفة لله فى الأرض، وبالتالى يكون فى صلة مستمرة بالله خالق الكون، وهذه الصلة كفيلة بأن تصحح له دائماً مساره على الأرض حتى لا يضل الطريق.

المسلمون والعولمة

ومن البديهي أن قوة المسلمين الحضارية ستجعلهم قادرين على مواجهة كل التحديات الخارجية التى أتت بها العولمة المعاصرة. ونحن ابتداء لسنا مع أو ضد العولمة ولكننا مع النظرة النقدية الواعية للعولمة ولغيرها من التيارات الوافدة. وأعتقد أن الضرورة تحتم أن يكون للمسلمين نظرتهم النقدية التى تتعمق فى القضايا بكل أبعادها، وتحللها من جميع جوانبها، وتخط لنفسها

ED2 jurnal hadhari06.indd 124

طريقاً لا يتجاهل الواقع من ناحية، ولا يندفع دون وعي نحو كل دعوة جديدة من ناحية أخرى.

وأود أن أشير هنا إلى بعض الملاحظات المبدئية:

أولاً : الإسلام كدين ليس تياراً فكرياً أو ظاهرة وقتية حتى يخشى عليه من التيارات الفكرية الوافدة. إنه دين له جذور ضاربة فى أعماق الكيان الإسلامي، وأصول راسخة لا تستطيع أن تنال منها التيارات الوقتية الطارئة. ولا يُخشى على هذا الدين من أي تيارات داخلية أو خارجية مهما كانت قوتها طالما فهم المسلمون هذا الدين فهماً صحيحاً، وأدركوا إدراكاً واعياً أهدافه النبيلة وغاياته السامية وجوهره الحقيقي.

ثانياً : العولمة واقع لا يجدى معه أسلوب الرفض. إنه تيار بدأ بالمجال الإقتصادي ثم امتد إلى المجالين السياسي والثقافي، وبالإضافة إلى المجال الإعلامي. وهذا الواقع يعد حقيقة ماثلة أمامنا لا مجال لإنكارها.

ثالثاً : لا يجوز لنا أن نتجاهل أننا لا نعيش وحدنا فى هذا العالم، وأننا نعيش الآن فى عصر ثورة الإتصالات والمعلومات، والثورة التكنولوجية، وفى عصر السماوات المفتوحة، وهذا يعنى أنه لا مجال للإنعزال أو التقوقع.

وإذا كانت العولمة تهدف إلى إزالة الحواجز بين الأمم والشعوب – كما سبق أن أشرنا – ، وتحاول بطرق مختلفة فرض قيم معينة وحضارة معينة هي قيم الحضارة الغربية، أو قيم الأقوياء، فإن ذلك لا ينبغى أن يصيبنا بالفزع وفقدان التوازن، لأن ذلك لن يجدى فتيلا، ولن يتيح لنا الفرصة للتفكير السليم. فنحن – كما سبق أن أشرت – أمام واقع، وواجبنا هو أن تتعامل معه. وهذا الواقع ليس كله شراً، وليس كله خيراً. ومن هنا ينبغى التعامل معه على هذا الأساس.

ED2 jurnal hadhari06.indd 123

إن العولمة – فى رأينا – تمثل بالنسبة للمسلمين دعوة غير مباشرة إلى ممارسة النقد الذاتي ليعيدوا النظر فى حساباتهم، ويعيدوا ترتيب البيت من الداخل، وهذه الدعوة تأتى بطبيعة الحال دون قصد من أصحاب العولمة. وقد يرى البعض أن العولمة تمثل استفزازاً للمسلمين، ونرى أنه استفزاز مفيد إذا أحسن المسلمون التعامل معه بأسلوب عقلاني بعيد عن التشنج والإنفعال.

إن القضية – فى رأينا – تدور حول أسلوب التعامل مع هذا الواقع الجديد والتفاعل معه بطريقة سليمة. أما إذا تجاهلنا الواقع واكتفينا بعبارات الرفض والشجب والإدانة والإستنكار لأساليب الهيمنة والسيطرة وفرض النظم الغربية ... إلخ – فإننا بذلك ستظل ندور حول أنفسنا مكتفين بدفاع الحناجر. وهذا أمر لا يرضاه مسلم عاقل. ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على أن العالم الإسلامي يملك كل أسباب القوة الإقتصادية، فهو عالم غني بموارده الطبيعية، وموقعه الجغرافي المتميز، وثروته البشرية، ولا تنقصه الكفاءات العلمية والخبرات الإقتصادية، وكل ما يحتاجه هو الإدارة الفاعلة لتحقيق الإنطلاقة الإقتصادية المرجوة.

إن الأمر إذن بيدنا – نحن المسلمين – وعلينا أن نختار لأنفسنا الطريق القويم المحقق للأهداف، وعلينا أن ندرك أن الإسلام منذ اللحظة الأولى كان ولا يزال دعوة عالمية للناس جميعاً. ومن هنا لفت نظرهم إلى وحدة الأصل الإنساني. فالناس جميعاً إخوة. وإذا كانوا مختلفين فى أجناسهم وأعراقهم ومعتقداتهم فإنهم – على الرغم من ذلك – ينتسبون جميعاً إلى أصل إنساني واحد.

وهذه الإختلافات - فى ضوء هذه الوحدة الإنسانية الراسخة - من شأنها أن تكون منطلقاً للتعارف والتآلف والتعاون، لا للتنازع والتخاصم والشقاق - كما يقرر القرآن الكريم : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ".

وهكذا كانت دعوة الإسلام دعوة عالمية إلى الأخوة الإنسانية فى كل

ED2 jurnal hadhari06.indd 122

زمان ومكان، ويمكن القول بأن الإسلام يعد دين العولمة الحقيقية، وإن كان هذا القول لن يروق لفريقين على طرفى نقيض، أحدهما سيعتبر ذلك محاولة لأسلمة العولمة، وثانيهما سيعده دعوة إلى تغريب الإسلام. وكلا الفريقين جاهز بشعاراته لخوض معركة وهمية لا نريد أن نشغل أنفسنا بها.

إن العالم يسير من حولنا بسرعة مذهلة، والمتغيرات على الساحة الدولية لا تكف عجلتها عن الدوران. وقد استطاع الغرب أن ينشر العولمة بإيجابياتها وسلبياتها بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية، وثورة المعلومات والإتصالات وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والبث التلفزيوني المباشر، وامتلاك ناصية المعرفة والمعلومة التى أصبحت اليوم مصدرة القوة. وكل يوم يمضى يزيد من اتساع الفجوة بين المسلمين وبين العالم المتقدم. ولا خلاص لنا إلا بالأخذ بكل أساليب التطور العلمي والتقني والحضاري، والعمل الجاد المنتج على جميع المستويات، والمشاركة الفعالة فى تقرير مصير هذا العالم الذي نعيش فيه، والإسهام فى استعادة التوازن المفقود غى حضارة العصر. وإلا فلسنا جديرين بالحياة. ولم يعد لصياح الحناجر ورفع الشعارات الجوفاء أي معنى.

لقد أضاع المسلمون الكثير من عمر الزمن فى تفاهات الأمور، والآخرون يصارعونهم فى عظائم الأمور، والغالبية من المسلمين غير واعين بمتغيرات العصر، وغير مدركين لأبعاد المخاطر التى تحيط بهم من كل جانب، لأنهم مشغولون بقضايا هامشة، ومهتمون ببعض المظاهر الشكلية فى الدين، والآخرون يزلزلون فى جذورهم وهم لا يشعرون.

إن الأمر جد خطير، وعلى مفكري المسلمين فى كل مكان ألا يكفوا عن الدعوة إلى إيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين لتنهض الأمة وتشارك فى مسيرة التقدم على المستويين المادي والروحي، وتحتل مكانها اللائق بها بين الأمم.

ED2 jurnal hadhari06.indd 121

وإذا كنا قد حاولنا أن نشخص إجمالاً أدواء عالمنا الإسلامي ولخصناها فى المشكلة الحضارية فإن محاولتنا هذه لم تكن نابعة من منطلق جلد الذات أو إصابة النفوس باليأس والإحباط، وإنما كان منطلقنا هو النقد الذاتي والحرص التام على تقدم الأمة ونهضتها والغيرة على مصيرها. ومن جانب آخر لانستطيع أن ننكر أن هناك بعض التجارب الهامة والمحاولات الجادة فى بعض بلادنا الإسلامية للخروج من المأزق الحضاري الذي يعطل مسيرة الأمة، الأمر الذي يبشر بالخير ويعيد الأمل إلى النفوس ويستعيد الثقة بقدرة العقل الإسلامي على البناء والتعمير.

وإذا جاز لي فى هذا المقام أن أضرب بعض الأمثلة الرائدة فإنه لا يجوز تجاهل تلك الجهود التى تقوم بها بعض البلاد العربية والإسلامية – وفى مقدمتها مصر بلد الأزهر الشريف – لتحقيق التنمية الشاملة على المستويين المادي والروحي، على الرغم من كل الصعوبات والعقبات الداخلية والخارجية التى تعترض هذا الطريق. والأمل معقود على أن تكلل هذه الجهود بالنجاح حتى تكون سنداً قوياً ودعماً أكيداً للأمة الإسلامية.

ومنذ أكثر من عام ونصف سعدت بزيارة ماليزيا، تلك الدولة الفتية الغريزة على قلوبنا جميعاً، وأتيح لي أن أتعرف على القفزة الحضارية التى تحققت فيها، كما تعرفت عن قرب على ملامح " المنهج الحضاري الإسلامي " الذي تتبناه ماليزيا للتقدم والإرتقاء. وهو منهج يركز – كما هو واضح – على الجانب الحضاري فى الإسلام، هذا الجانب الذي يعد فى حقيقة الأمر لفريضة الغائبة لدى غالبية المسلمين فى عالم اليوم.

ويسعدني أن ألقى نظرة سريعة على خطوات هذا المنهج لنشترك معاً فى الإطلاع على ما تبذله هذه الدولة فى هذا المجال من جهود صادقة نرجو لها المزيد من التوفيق والسداد.

ED2 jurnal hadhari06.indd 120

لقد خطت ماليزيا – كما يعرف الجميع – خطوات موفقة فى مجال التنمية الإقتصادية. ولكنها فى الوقت نفسه تريد الحفاظ هلى هويتها الدينية وثقافتها الإسلامية. وهذا أمر جدير بكل التقدير والدعم والإحترام.

ومن خلال تطبيق هذا المنهج الحضاري الإسلامي تطمح ماليزيا إلى الخروج من دائرة الدول النامية واللحاق بركب الدول المتقدمة. وفى سعيها لبلوغ الهدف تقوم – كما علمت – بحملة واسعة النطاق فى كل أرجاء ماليزيا، وعلى جميع المستويات لشرح هذا المنهج وتوضيح أهدافه وبيان فوائده التى تعود بالخير على جميع طوائف الشعب بمختلف أعراقه وأديانه.

وقد أطلقت ماليزيا " المنهج الحضاري الإسلامي " لتواجه تيارات التعصب والتشدد والفهم القاصر للإسلام، هذا الفهم الذي يعوق تقدم الأمة ويحول دون الأخذ بمعطيات العصر وعلومه وتقنياته. وتؤكد هذه المبادرة أن الإسلام دين متجدد وعصري، وأن الجمود ينبع من نظرة المسلمين إليه وتفسيرهم لتعاليمه تفسيراً قاصراً. وهذا أمر يجب إعادة النظر فيه. فالإسلام دين يدعو إلى إعمال العقل ويحث على التفكير والإجتهاد، والمسلمون مطالبون بإحياء هذه المبادئ وتفعيل هذه القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم الأمة إذا أرادوا تطوير مجتمعاتهم وعدم التخلف عن مواكبة العصر.

وتتخلص مبادئ هذا المنهج الحضاري الإسلامي فى البنود العشرة التالية:

- الإيمان وتقوى الله.
- حرية الشعب.
- التمكن من العلوم والمعارف.
- التوازن والشمول فى النهضة الإقتصادية.
- النمو الإقتصادي والرفاه المعيشي.
- حماية حقوق الأقليات والمرأة.
- غرس القيم والأخلاق.

ED2 jurnal hadhari06.indd 119

- الحفاظ على البيئة.
- تعزيز القوة الدفاعية للوطن.

والبند الأول فى هذا المشروع وهو الإيمان بالله لم يوضع اعتباطاً أو بقصد التجمل وإرضاء المشاعر الدينية لدى مسلمي ماليزيا الذين يشكلون نسبة (60%) تقريباً من تعداد السكان فى مجتمع متعدد الأعراق والديانات، وإنما قصد بجعل الإيمان بالله أول هذه المبادئ أن يكون الدين هو الأساس الذي تنبنى عليه بقية المبادئ. وإذا كان الأساس سليماً فإن ذلك يكون بمثابة ضمانة أكيدة وركيزة راسخة تنطلق منها بقية المبادئ وتطبيقاتها.

وقد أدركت ماليزيا أن الفهم الصحيح للإسلام له دور بالغ الأهمية وعميق الأثر فى توجيه سلوك الناس التوجيه الصحيح. وفى المقابل فإن الفهم العقيم للإسلام يشكل عقبة كبرى فى سبيل أي تقدم للمجتمع. ولا شك فى أن الإسلام بتعاليمه السمحة دين يشتمل على كل القيم الحضارية التى من شأنها أن ترتقى بالمجتمع وتعلى من شأن أفراده وتحمى تعدديته الدينية والعرقية وتحافظ على التماسك بين جميع فئات الأمة من أجل تحقيق الآمال المرجوة للمجتمع بأسره.

وبالإضافة إلى تأكيد دور الدين وأهميته فى تقدم المجتمع يشتمل المنهج المذكور على مجموعة من القيم الأساسية الدافعة إلى النهوض بالأمة والإرتقاء بها وكلها قيم إسلامية وإنسانية فى الوقت نفسه.

وأهم هذه القيم: الحرية والعدالة والأمانة والعلم والمعرفة، وحقوق المرأة، وحقوق الأقليات الدينية والعرقية، والحفاظ على البيئة، وضمان مستوى معيشي معقول للإنسان ليشعر بآدميته وكرامته، وحماية أمن الوطن والمواطنين، وإحاطة ذلك كله بسياج من القيم اخلاقية.

ويمكن القول فى إيجاز شديد بأن هذا المنهج يهدف إلى تحقيق التنمية الشاملة فى المجتمع. وفى هذا الإطار يركز على بناء الإنسان بناءً سليماً؛ فالإنسان هو عماد أي تنمية وهو صانع الحضارة وهو غايتها أيضاً.

ED2 jurnal hadhari06.indd 118

زمن هنا يأتى الإهتمام بضمان كل ما يوفر له السعادة فى دنياه وأخراه. والفهم الصحيح للدين من شأنه أن يوفر المناخ المناسب لتحقيق كل هذه الطموحات.

والمنهج الحضاري الإسلامي يعتمد فى تطبيقه على تحقيق فهم مستنير للدين يواكب متطلبات العصر. ومن هنا يركز على أن الدين دعوة إلى التعمير والبناء الحضاري استجابة للأمر الإلهي بإعمار الأرض وصنع الحضارة فيها.

إن الدين حياة متدفقة بالخير، عامرة بالأمن، وليس دروشة فارغة أو شكليات لا روح فيها ولا حياة. والمتأمل فى بنود هذا المنهج الحضاري الإسلامي يتضح له مدى الإرتباط الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح، وبين الدين والدنيا، وبين هذه الحياة التى نعيشها والحياة الأخرى المستقبلة.

إن الإنسان فى هذا المنهج يعد حجر الزاوية. والمنهج بكل بنوده يسعى إلى الإرتقاء بالإنسان – أشرف مخلوقات الله وخليفته فى الأرض – والذي كلفه الله بعمارة الأرض ونشر الأمن والسلام والخير فى كل أرجائها. إن المطلوب – إذن – هو أن يتجه الجميع للعمل بقلوب عامرة بالإيمان بعيداً عن الشكليات التى لا أثر لها ولا تأثير، وبعيداً عن أي شكل من أشكال التشدد أو التطرف أو الغلو فى الدين، وفى الوقت نفسه تصبح هذه القلوب عامرة بحب الناس وحب الحياة وحب الخير لكل البشر.

ونحن – إذ نحيِّي هذا التوجه الماليزي فى إحيائه للفريضة الغائبة لدى المسلمين وهي البناء الحضاري – فإننا ندعو لهذه الدولة الفتية بالتوفيق والنجاح فى تحقيق آمال شعبها حتى تكون نموذجاً يحتذى به لأمتها الإسلامية.

ED2 jurnal hadhari06.indd 117